المحاضرة الثانية:

الاحتلال الفرنسي لموريتانيا 1903 – 1905م:

1– أوضاع موريتانيا قبيل الاحتلال:

عرفت البلاد الموريتانية[1] عدة تسميات؛ ارتبطت إما بوصف بشري أو جغرافي أو سياسي، فبالنسبة للوصف البشري فموريتانيا عرفت بـ: بلاد لمتونة، صحراء الملثمين، صحراء صنهاجة، بلاد التكرور، البيضان، المغافرة؛ أما الوصف الجغرافي فنجد أن موريتانيا عرفت بالمفازة الكبرى وكذلك المنكب البرزخي وبلاد شنقيط.

أ– الأوضاع الاجتماعية (التركيبة الاجتماعية) والطبقية:

يتسم المجتمع الموريتاني؛ بأنه مجتمع يقوم على الطبقية أي أنه ينقسم إلى عدة فئات تحدد معالم كل فئة من خلال العمل السائد في البلاد حيث يعتبر المعيار الأساسي لتحديد المنزلة الاجتماعية وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم المجتمع الموريتاني –حسب الآراء المحلية– إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: ترجع أصول هذا التقسيم إلى التقسيم الذي أمر به الأمير الصنهاجي (المرابطي) "أبو بكر بن عمر اللمتوني" المتوفى سنة 480 هـ، حيث قسم جيشه إلى ثلاث فئات هي:

* **الفئة الأولى:** اختصت لنفسها الشؤون الحربية والسياسية (الفئة المقاتلة).

* **الفئة الثانية:** وظيفتها الإشراف على الأمور الثقافية والدينية والاقتصادية

* **الفئة الثالثة:** وظيفتها خدمة الفئتين السابقتين.

المجموعة الثانية: المجتمع البيضاني ينحدر من اندماج عناصر عربية وصنهاجية؛ فالفئة الأولى تغلبت على شؤون البلاد وتبنت نفس التقسيم الاجتماعي الثلاثي[2].

---

[1] موريتانيا: ظهرت التسمية بعد إقرار السلطات الفرنسية رسميا تسمية موريتانيا، وكان ذلك بعد القرار الوزاري الصادر في 27 ديسمبر 1899م.

[2] الاستعمار الفرنسي لموريتانيا من 1899 – 1934 م، دار شامة، ص 10.

وبصفة عامة نجد أن المجتمع الموريتاني ينقسم إلى فئتين (عرب وزنوج)، فبالنسبة للفئة العربية فنجدها تتكون من ثلاثة أقسام هي:

1 –الفئة المحاربة: فئة العرب (حسان) وهي الطبقة الأولى في الهرم الاجتماعي، وتحتكر حمل السلاح ومهمتها الشؤون الحربية.

2 –فئة الزاوية: هم المثقفون من رجال الدين ومهمتهم نشر التعليم إلى جانب تسيير أمور التجارة ولا يتميز أهل الزوايا بالإنتماء العرقي أو القبلي بل الانتساب إليهم حسب القيم الأخلاقية العالية والوظائف الاجتماعية بحيث كل قبيلة تعنى بالعلم والدين فهي من الزوايا.

3 – المجموعة التابعة (اللحمة): وتضم خمسة فئات، ترتبط كل واحدة منها بنوع الوظيفة الاجتماعية أو الاقتصادية أما الفئة الثانية أي فئة الزنوج، فنجد أن هذه المجموعة مهمتها تنحصر في النشاط الفلاحي وهي بدورها تنقسم إلى ثلاث فئات رئيسية هي:

*فئة الهالبولار وتشكل حوالي 80 % من مجموع السكان.

*فئة الساركولي sarkolé.

*فئة الولفية.

وبصفة عامة فإن هذا التمايز الطبقي يؤدي إلى عدم وجود شعور وطني موحد أي القضية الوطنية بسبب تباين المصالح، وهذا ما سوف يسهل على الاستعمار الفرنسي التغلغل وفرض وجوده بموريتانيا.

ب– الأوضاع السياسية (نظام الحكم: القبيلة، الزاوية، الأمير):

إذا ما رجعنا إلى التسمية السياسية لموريتانيا (بلاد السيبة)؛ فإن هذه الصفة تعتبر مفهوم سياسي يدل على عدم خضوع البلاد إلى أي سلطان وهذه الصفة نجدها مقترنة بالتاريخ السياسي للبلاد منذ وفاة "أبي بكر عمر" سنة 480 هـ – 1087م أمير المرابطين.

أما فيما يخص التنظيم السياسي في البلاد؛ فقد ارتبط بثلاثة مؤسسات أهلية (سياسية) هي:

– الأمراء.

- شيوخ القبائل المحاربة.

- شيوخ الزاوية.

هذا الوضع هو ما انتبه إليه رواد المشروع الاستعماري الفرنسي، حيث بدءوا في تحديد علاقتهم مع كل طرف (أي مؤسسة أهلية محلية موريتانية) وذلك حسب وضعية وإمكانات ذلك الطرف أو المؤسسة بغية إجهادها أولاً واستغلالها ثانيا لصالح الهيمنة الفرنسية، فاتبعوا في ذلك سياسة الإبقاء على الهياكل الصورية للمؤسسات الموريتانية المحلية مع تحطيم المؤسسات التي تتعارض مع المشروع الاستعماري الفرنسي.

1- النظام الأميري:

يعتبر هذا النظام شكل أولي من أشكال ظهور الدولة؛ تطور هذا النظام بسبب العلاقة المتنامية مع الرأسمال التجاري الفرنسي (التجار الفرنسيين متمركزين في مصب نهر السنغال)، وأيضا بسبب الاستقرار السياسي والاجتماعي الذي شهدته المنطقة، كما تجاوز هذا النظام الولاء الضيق للقبيلة وللمجموعة المحاربة والزاوية وتوحيدها تحت سلطة سياسية واحدة والملاحظ أن هذا النظام الجديد؛ أنتج خمسة إمارات هي:

1-1 - إمارة البراكنة (أواسط القرن 17م).

1-2 - إمارة الترارزة (أواسط القرن 17م).

1-3 - إمارة أولاد مبارك (تأسست مطلع القرن 18م).

1-4 - إمارة إيدوعيش (تأسست مطلع القرن 18م).

1-5 - إمارة أدرار.

2- شيوخ القبائل المحاربة:

تمتع شيوخ هذه القبائل بكامل النفوذ السياسي والعسكري.

3 - شيوخ قبائل الزاوية:

تمتع شيوخ هذه القبائل بالسلطة الدينية والقضائية.

وعلى العموم عملت الإدارة الاستعمارية على إضعاف كل فئة من خلال التحالف وتقديم المساعدات المالية والعسكرية والتعامل الاقتصادي مع فئة على حساب الفئة الأخرى، فعلى سبيل المثال

عملت الإدارة الفرنسية على إضعاف طبقة الأمراء من خلال تحالفها مع بعض رؤساء القبائل (تقديم المساعدات المالية والعسكرية والتعامل التجاري المباشرة معهم دون الرجوع إلى أمير المنطقة) ولم تكتف الإدارة الفرنسية فقط بهذا التهميش بل عملت على دعم وتشجيع حركات العصيان بين القبائل ضد الأمراء، كما استغلت الإدارة أيضا رؤساء القبائل في جمع الضرائب مقابل حصولهم على نسب منها، وبالتالي تحاشت الإدارة الاستعمارية التعامل المباشر مع السكان المحليين.

ومما سبق نستنتج ما يلي:

- عدم وجود سلطة مركزية واحدة.

- تعدد المؤسسات الأهلية وضعفها وانغلاقها على ذاتها (انغلاق اجتماعي ووظيفي).

- قلت الاتصال بالعالم الخارجي وبالتالي لم تستفد موريتانيا من المتغيرات الدولية.

2 –كبولاني ومشروع احتلال موريتانيا:

أ–التعريف بكبولاني:

ولد كزافي كبولاني في 1 فيفري 1866م بجزيرة كورسيكا، ثم انتقل رفقة أسرته إلى الجزائر أين زاول دراسته، كما تمكن كبولاني من إتقان اللغة فعمل على الاحتكاك بالجزائريين المسلمين والاطلاع على الدين الإسلامي، لذلك نجده تخصص في دراسة الطرق الصوفية والتي انتهت بإصدار مع زميله "أوكتاف ديبون"[3] كتاب اسماه "الطرق الصوفية الإسلامية"[4]، وكان هدفه تقريب الإدارة الفرنسية والمسلمين مروجا بعد ذلك فكرة التعامل بتسامح مع المسلمين والعمل على كسب ود مشايخ الصوفية.

أما فيما يخص حياته المهنية؛ فبدأها ككاتب مراسل بمقاطعة قسنطينة ثم بعد ذلك كاتب لبلدية "واد الشرق" بداية من 15 أفريل 1885م، ثم التحق فيما بعد بالحكومة العامة لمنطقة "غرب إفريقيا" بداية من 15 ديسمبر 1895م أين عين في منصب مساعد إداري سنة 1896م، وتوفي في 12 ديسمبر 1905م.

---

[3] أوكتاف ديبون (Octave Depont): هو عسكري فرنسي، مساعد كزافيي كبولاني وزميله في مهمته إلى السودان الغربي (لفرنسي)، وقائد موقعة أجكجوت، قتل على يد الوطنيين الموريتانيين سنة 1907م، ليكون مقتله نهاية مرحلة الهدوء الفرنسي في موريتانيا.

[4] les Confréries Religieuses Musulmanes: هو كتاب عن الطرق الدينية الإسلامية في الجزائر ألفو كزافيي كبولاني بالتعاون مع رئيسه في العمل بالحكومة العامة بالجزائر بمصلحة شؤون الأهالي أوكتاف ديبون، وتحت إشراف جول كامبون (Jule Cambon) الحاكم العام للجزائر، ونشر بالجزائر سنة 1897م.

ب- مشروع الاحتلال: يقوم مشروع كبولاني لاحتلال موريتانيا على ما يلي:

- ✓ إنشاء مصلحة خاصة بشؤون المسلمين تكون مهمتها الأساسية إرشاد الحكومة العامة وسياستها تجاه الأراضي الإسلامية والمسلمين.
- ✓ إصدار معلومات متعلقة بكيفية التعامل مع الطرق الصوفية في البلاد الموريتانية.
- ✓ العمل عل احتواء فئة الزاوية (المكلفة بالتعليم) وكسبها إلى الجانب الفرنسي.
- ✓ توحيد البيضان في مجموعة متجانسة توفر سندا للإدارة الاستعمارية الفرنسية.
- ✓ تأمين المستعمرات في إفريقيا الشمالية والغربية وتنمية التجارة الفرنسية ومصالحها في المغرب وإتباع سياسة محكمة في الصحراء.
- ✓ تجنب عداء المغرب الذي يُدعم سريا من طرف القوى الأوروبية.
- ✓ تنظيم جباية الضرائب في مختلف مناطق البيضان ابتداء من سنة 1903م.
- ✓ التوغل داخل أراضي البيضان (سلميا) مع إعداد تقرير مفصل حول الأحوال السياسية والدينية مع تحديد أهم الطرق الصوفية المنتشرة بالمنطقة وأيضا وزنها الديني والسياسي.
- ✓ العمل على مسالمة بعض القبائل الموريتانية كأولاد علوش، مشظوف.
- ✓ وضع مخطط يهدف إلى تجسيد مشروع "موريتانيا الغربية" بهدف تكوين إمبراطورية استعمارية كبرى في شمال وغرب إفريقيا (أي تحقيق الحلم الدبلوماسي الفرنسي) ولا يتم ذلك إلا عن طريق احتلال موريتانيا.
- ✓ الحث على عدم مواجهة الزعماء الدينيين؛ قدر المستطاع مع العمل على كسبهم إلى جانب فرنسا.
- ✓ ترجيح كفة الزوايا على كفة بني حسان نظرا لمكانتهم الدينية والسياسة في المجتمع الموريتاني وهذا بهدف بسط نفوذه على كامل التراب الموريتاني.
- ✓ احترام النظام الاجتماعي المحلي السائد في موريتانيا وهذا لتغذية الخصومات بين الأسر الموريتانية
- ✓ وحتى داخلها من خلال زرع الفتن فيها.
- ✓ سياسة فرق تسد وتطبيقها في الأسر المحاربة أو الدينية التي تتنافس على زعامة المجموعة.
- ✓ تبني استراتيجية عسكرية تعتمد على سياسة هادئة أساسها سد المنافذ من خلال حماية السنغال بسلسلة من المراكز، تقام عند تقاطع الطرق الريفية لحراسة المناهل.
- ✓ اجتياح موريتانيا من الجنوب بدلاً من دخولها من الشمال.

ج- بداية تجسيد مشروع الاحتلال:

كانت الفرصة ملائمة للدخول الفرنسي إلى موريتانيا حيث كان الصراع على أشده داخل أسرة إمارة الترارزة بين الأمير أحمد سالم بن أعلي وأبناء عمه. وخلال هذه الفترة تعرف كبولاني على بابه ابن الشيخ "سيديا الأيبيري" من خلال مراسلاته المتعددة للإدارة الفرنسية بسان لويس، - وقد كان هذا الأخير من أعظم الشخصيات الموريتانية مع بداية القرن العشرين لا من حيث المستوى العلمي العالي فقط، بل من حيث وراثته لمكانتي جده الشيخ سيديا الكبير وأبيه الشيخ سيدي محمد الدينية والاجتماعية-. وقد كان "بابه ابن الشيخ سيديا" قلقاً على الأوضاع الأمنية الموريتانية المتردية التي عرفت في نهاية القرن التاسع عشر انتشار الحروب والنهب والانقسامات القبلية الكثيرة. وقد وجد "بابه" أن في التحالف مع الفرنسيين ما يستلزم من أمن سيجلبونه معهم نظراً لقوتهم العسكرية والمادية أولى من ترك البلاد أسيرة النهب والسلب والحروب القبلية.

وقد سمحت لكبولاني الفرصة من أجل تجسيد مشروعه بنفسه؛ بعدما كلف من طرف حاكم السودان الجنرال "ترينتنيان"" Trentinian " في شهر نوفمبر 1898م؛ بمهمة إلى السودان والساحل الغربي، قصد الدخول في مفاوضات مع قبائل البيضان والطوارق وأيضا الاتصال ببعض رؤساء القبائل من أجل إقناعهم بجدوى الخضوع لفرنسا، والتّفاوض معها وإقناعهم بدور فرنسا الإنساني في العالم الإسلامي والدّور الّذي تزمع القيام به في أرض البيضان. وقد انطلقت البعثة من: "سان لويس" تجاه مضارب قبائل "أولاد علوش" ثم مضارب قبائل "مشظوف" ثم قبائل الحوض ثم قبائل "تكانت"، حيث وقعوا معه اتفاق سلم بعد مفاوضات تعثرت عدة مرات.

وبعد عودته؛ أعد تقريرا مفصلا عن بعثته حمل في طياته معلومات مفصلة عن القبائل التي زارها،

وبعد الانتهاء من التقرير ختمه بتوصية مفادها "**قيام فرنسا باحتلال موريتانيا**" والظاهر أن هذا التقرير تحول إلى مشروع لاحتلال البلاد، وقد قام على ما يلي:

- تنظيم قبائل البيضان تحت حكم سياسي واحد يكون فرنسي.
- تبيان السياسة التي ينبغي انتهاجها في الصحراء الغربية.
- تبيان دور الشيخ الكبير ماء العينين في الصحراء الغربية.
- تبيان القيمة الاستراتيجية لمنطقة الساقية الحمراء التي تعتبر ملتقى هام للطرق والقوافل التجارية.

- ضرورة تجسيد مشروع موريتانيا الغربية والتي تشمل المناطق الممتدة من الضفة اليمنى لنهر السينغال والمناطق الواقعة من خاي وتمبكتو حتى رأس جيبي غربا وصولا إلى تخوم المغرب وجنوب الجزائر في الشمال، وقد تبنت وزارة المستعمرات الفرنسية هذا الاقتراح، فأصدرت قرار في 27 ديسمبر 1899م لدعم المشروع.

وقد كانت الطرق الصوفية تعتبر كطريق مهده كبولاني للتوغل في موريتانيا حيث أن هذا الأخير كان قد درس عنها، وقرر وضع مصلحة خاصة بالشؤون الإسلامية من خلالها يستطيع جمع معلومات حول الطرق الصوفية والإسلام، وذلك لتوجيه السياسة الاستعمارية من خلال محاربة أو كسب ود الصوفية.

ويمكن القول أن الإدارة الاستعمارية الفرنسية قد اعتمدت الدبلوماسية كأساس للتوغل في الصحراء الموريتانية بعد ما اقتنعت بضرورة إخضاع المحاربين في البلاد خدمة لأهدافها الاقتصادية والتجارية بعد ما تأكدت من وجود ثروات طبيعية وقد قاد عملية التوغل هذه ذات الشعارات السلمية القائد الفرنسي كبولاني الدارس للإسلام واللغة العربية.

ج- المواقف من المشروع:

* لقي المشروع معارضة من طرف التجار في "سانت لويس"، بسبب أن القيام بأي عمل عسكري في المنطقة، سوف يعود بالسلب على النشاط التجاري بالمنطقة. كما كان التّجّار الفرنسيون أيضا يفضّلون بقاء موريتانيا بعيدة على السّلطة الفرنسية حتّى يحتكروا تجارة الصّمغ.

* معارضة وزير الخارجية الفرنسي "دلكاسيه Delcassé" للمشروع، بحجة تعقد الأوضاع بالمنطقة ولأن المشروع يمس بعض المناطق الخاضعة للسيادة الاسبانية ومناطق أخرى تخضع هي الأخرى للنفوذ الإنجليزي خصوصا بالمغرب بعد اتفاقية 13 مارس 1895م.

* معارضة الحاكم العام للسنغال "اميل شوديه" " Emil Chaudie "، باعتباره مشروع سابق لأوانه ويشكل خطر على استقرار المنطقة.

3 -أهداف فرنسا من احتلال موريتانيا:

يمكن تلخيص أهداف فرنسا من احتلال موريتانيا فيما يلي:

✓ تأمين المستعمرات من هجمات البدو الرحل البيضان الذين كانوا يتعرضون لها من حين إلى آخر؛ خصوصا المتمركزة على أطراف نهر السنغال.

- ✓ دعم السلم في موريتانيا وتحقيق الأمن من خلال مهادنة القبائل بهدف حماية القوافل التجارية وتوسيع دائرة تجارة المستعِمر الهادفة إلى إنعاش اقتصاده واستغلال ثروات البلاد (صمغ، ملح، أسماك، معادن، إلخ).
- ✓ ربط المستعمرات الإفريقية بالمستعمرات الشمالية المتوسطية.
- ✓ قطع الطريق أمام المقاومة المغربية وعدم تمكينها من استفادتها من الصراع الفرنسي- الأوروبي على المغرب.
- ✓ جعل موريتانيا همزة وصل وربط بين منطقتي المغرب العربي وإفريقيا الغربية.
- ✓ هدف ديني تمثل في عرقلة المد الثقافي الإسلامي الذي استطاع التوغل في القارة الإفريقية (محاصرة انتشار الإسلام في القارة الإفريقية).

4 –وسائل فرنسا لاحتلال موريتانيا:

لقد لجأت فرنسا إلى الحيلة والدهاء من أجل التوغل داخل الأراضي الموريتانية؛ لذا اعتمدت في تنفيذ مخططها على الوسائل التالية:

- ✓ إتباع سياسة المرونة في بعض المواقف وأثناء التوغل داخل النسيج الاجتماعي والسياسي والفكري داخل مجتمع البيضان قبل الإقدام على احتلاله.
- ✓ إتباع سياسة فرق تسد؛ عن طريق نشر الخلافات والصراعات الاجتماعية من أجل انهاك القوى النشطة – وهذا ما سوف ينعكس بالسلب على مردود المقاومة المسلحة ضد الاحتلال-.
- ✓ اللجوء إلى القوة أو الحملات العسكرية؛ من أجل ردع فصائل المقاومة.
- ✓ الامتزاج العرقي؛ أي عن طريق زواج الفرنسيين بالشنقيطيات (نجاح نسبي إن لم نقل منعدم بسبب تعارض ذلك مع الدين الإسلامي).

5 – مراحل الاحتلال الفرنسي لموريتانيا (فرض الحماية على موريتانيا):

كان عبور كبولاني لموريتانيا في 14 ديسمبر 1902م حيث لقي بها أمير الترارزة أحمد سالم بن أعلي، وقد وقع معه اتفاقية مشتركة دخلت بموجبها الترارزة الحماية الفرنسية، وأسس مركزاً عسكرياً عند بئر خروفة في وسط إكيدي بمنطقة الترارزة.

تمكّن الفرنسيّون خلال الفترة الممتدّة من 1900م إلى 1912م من إخضاع أمراء موريتانيا لسيطرتهم ولم يبق إلاّ بعض جيوب المقاومة الّتي قضي عليها في منتصف الثلاثينيات، وعليه يمكن تقسيم مراحل الاحتلال الفرنسي لموريتانيا إلى ثلاث مراحل كالآتي:

- **المرحلة الأولى 1900 – 1904م** (مرحلة التغلغل السلمي والسيطرة غير المباشرة).
- **المرحلة الثانية 1905 – 1909م** (مرحلة الإخضاع العسكري وإخضاع معظم أنحاء البلاد).
- **المرحلة الثالثة 1914– 1934م** (تم فيها تصفية بقية جيوب المقاومة وتأمين الاحتلال).

أ–المرحلة الأولى: التغلغل السلمي الفرنسي في موريتانيا (1900 – 1905م):

أو ما يمكن وصفه بالاحتلال غير المباشر، والذي تجسد أساساً في السياسة المحكمة التي اتبعتها فرنسا في الدمج بين السلطة التقليدية والتبعية الاقتصادية، ومحاولة إضعاف نفوذ الإمارات الموريتانية بفعل التدخل في شؤونها، تمهيداً لفرض الحماية والتبعية السياسية والعسكرية للبلاد لاحقاً، الأمر الذي يستدعي المواجهة بين فرنسا ورواسب الإمارات التي انهارت فترها، بسبب الحروب والاقتتال الداخلي، بفعل الضغط المترتب عن السياسة الاستعمارية، وهنا تبدأ المرحلة النهائية والفعلية لاحتلال موريتانيا بعد فترات تأزم وانفراج وبعد مئات المعاهدات والاتفاقيات التي لم تنص فقراتها يوماً على الحماية الفرنسية.

وقد تزامنت بداية مهمة "كبولاني"؛ مع اشتداد حدة الصراع داخل البلاد الموريتانية حيث شمل كافة المجموعات والفئات والاتجاهات الطرقية ومختلف القبائل والأفخاذ المحاربة مع بروز الصراع بين الفئة المحاربة والفئة الزاوية وعدم وجود أمير قوي بإمكانه فرض سلطته وتوفير الأمن، كما أن البلاد أصبحت مقسمة من حيث النفوذ الديني والروحي لمشايخ مختلف الطرق الصوفية المنتشرة بالبلاد إذ نجد ما يلي:

- منطقة نفوذ الشيخ ماء العينين سيديا بابه[5] (إقليم الترارزة (1903)، البراكنة (1904م)، أجزاء من تكانت (1905).
- منطقة نفوذ الشيخ ماء العينين وتمتد داخل المناطق الشمالية وتخوم المغرب.
- منطقة نفوذ الشيخ سعد بوه[6] وتمتد داخل أراضي البيضان وأيضا له أتباع داخل أراضي السود.

---

[5] **الشيخ سيديا**: الشيخ سيديا بابه ابن الشيخ سيديا الأيبيري ولد سنة 1862م، ساعد كبولاني في مهمته، توفي سنة 1924م.

[6] **الشيخ سعد بوه**: هو ابن الشيخ محمد فاضل بن مامينا وأخو الشيخ ماء العينين لأبيه، ولد سنة 1850م بالحوض، ساهم في إنقاذ بعثة بلانشي سنة 1900م، توفي سنة 1917م .

من خلال هذه التناقضات والصراعات المتواجدة داخل المجتمع البيضاني استطاع "كبولاني"؛ أن يدفع بالمنطقة للدخول تحت راية الحماية الفرنسية؛ حيث تمكن من توقيع اتفاقية في 15 ديسمبر 1902م مع الأمير "أحمد سالم" الذي قبل بموجبها مبدأ الحماية الفرنسية على منطقة الترارزة بالإضافة إلى تمكن "كبولاني"- بفضل حنكته ومعرفته العميقة بالمجتمع البيضاني – من الحصول على مباركة الزعامات الدينية في المنطقة (الشيخ سيديا بابه، الشيخ سعد بوه) بعد أن تحصل على فتوى شرعية من الشيخ "سيديا بابه" تبيح مبدأ قبول الحماية الفرنسية.

وبذلك استطاع "كبولاني"؛ فرض الحماية الفرنسية على منطقة الترارزة دون إطلاق رصاصة واحدة؛ وبذلك أصبحت المنطقة خاضعة للنفوذ الفرنسي بداية من 12 ماي 1903م وبعد أسبوع واحد من صدور قرار فرض الحماية على منطقة الترارزة وبالتحديد في 19 ماي 1903م؛ استطاع أيضا "كبولاني" إقناع أمير منطقة "البراكنة" "أحمد ولد سيدي أعلي" رفقة مجموعة من رؤساء الأفخاذ الأميرية كأولاد نغماش، أولاد عايد، أولاد أعل، بقبول مبدأ الحماية الفرنسية على منطقتهم.

لكن سرعان ما أعلن الأمير عن عدم خضوعه للاستعمار الفرنسي؛ ومرد ذلك إلى ضغط تيار المعارضة السياسية الذي قاده الفقيه "محمد عبد الجليل بن الشيخ مصطفى" داخل منطقة البراكنة، هذه التطورات لم تعجب "كبولاني" فاضطر للزحف على المنطقة وإخضاعها بالقوة وهذا ما أدخل الطرفين في مناوشات عسكرية بداية من شهر ديسمبر 1904م خصوصا بعد أن قام الأمير بمراسلة قبائل البيضان واستثارتهم للجهاد ضد المحتل الفرنسي ورغم الجهود المبذولة من طرف "أحمد ولد سيدي أعلي" (أمير البراكنة) و"بكار ولد أسويد" (أمير تكانت)؛ إلا أنها باءت بالفشل بفعل انهزامهم في العديد من المواقع الحربية "واقعة شمال يوكي، مشكار، مبوت والتي قادها الأمير " بكار ولد أسويد " بنفسه في 17 فيفري 1904م.

ولتوطيد السيطرة الفرنسية في المنطقة، أمر "كبولاني" بدعم المراكز الموجودة حيث أنشأ كلا من مركز "إميود" في 9ماي 1904م ومركز "بياخ" ومركز "ألاق"، كما قام أيضا بتنظيم المنطقة وتقسيمها إلى ثلاثة أقاليم هي:

* إقليم البراكنة ويضم ألاق وإمويت.

* إقليم مال ويظم مال وجزء من إمويت.

* إقليم كوركول الذي يضم إميود.

بعد احتلال إقليم "الترارزة" و"البراكنة"؛ أصبحت هذه المناطق قاعدة لاحتلال "تكانت" و"أدرار" (وسط موريتانيا).

ب-المرحلة الثانية: الإخضاع العسكري 1905 – 1909م:

بعد إخضاع كل من الترارزة والبراكنة سلمياً بدأ كبولاني التفكير في التوجه نحو الوسط وبالضبط لإخضاع إمارتي تكانت وآدرار للسيطرة الفرنسية، وتعتبر منطقة الوسط (إمارتي تكانت وأدرار)؛ من أكبر المناطق التي تأوي الثائرين على السلطات الاستعمارية، لذا كان لا بد من إحتلال هذه المنطقة من أجل كسر شوكة المقاومة بها، ومن أجل ذلك كان لا بد من تغيير طرق ووسائل التوغل من سلمي إلى عسكري، فقد كتب الحاكم العام لغرب إفريقيا وليام بونتي Ponty في 1908 إلى وزير المستعمرات الفرنسي يقول: ''إن احتلال آدرار أصبح هدفا استراتيجيا لإعادة الأمن والسلام إلى شبه المنطقة''. وهو الموقف ذاته الذي تبناه وزير المستعمرات الفرنسي لاكروا حيث قال: ''إن إمارة آدرار هي القاعدة الخلفية لكل المحاربين المنادين بالجهاد المقدس، وباختصار، فإن وجودنا في إفريقيا الشمالية وربما العربية يظل بعيد المنال ما لم تتم السيطرة على منطقة آدرار''. وبهذا قامت الحكومة العامة لمنطقة غرب إفريقيا بمد "كبولاني" بقوات عسكرية تشكلت من:

* قوم من الجزائر، بلغ عددهم 120 رجل على الإبل والخيل.

* قوم من أولاد سبع وبعض العناصر من السود.

* قوم من أولاد أبيير (دعم من طرف الشيخ سيديا بابا).

وبفضل هذه التعزيزات استطاع "كبولاني" الوصول إلى مدينة "تجقجق" "تجككجة"، أين دخل في معارك مع قوات "إدوعيش" وتفريقها، وفي نفس الوقت وفي صبيحة يوم 1 أفريل 1905 م؛ تمكن النقيب "إفرير جان" من قتل أمير إدوعيش "بكار ولد أسويد أحمد" في قرية بوكادوم، ومن نتائج هذه المعركة تأسيس "كبولاني" لمركز "تجككجة" الإداري، لكن هذا الأخير لم يلبث طويلا حيث قتل على يد " المجاهد سيدي ولد مولاي الزين" في 12 ماي 1905م، ليخلفه بعد ذلك الرائد **مونتاني**.

بعد انتشار خبر مقتل "كبولاني"؛ بدأت القبائل تتمرد على السلطات الفرنسية سواء تلك الخاضعة أو التي كانت تتحاور مع الفرنسيين من أجل قبول الحماية. كما اعتبر كل من أمير أدرار ومرابط السمارة

"ماء العينين" – الذي حرض على قتل كبولاني– هذا الحدث مهماً فأصبحت ثقتهم وتصميمهم على مواجهتها بالمقاومة أكثر حيوية وأشد دعماً.

ج– مرحلة الخضوع (1914–1934):

انقسمت المقاومة الوطنية طول هذه الفترة ولاسيما من جانب قبائل الرقيبات وبن دليم، وبالرغم إعلان أولاد دليم استسلامهم للنفوذ الفرنسي في عام 1918م كذلك استسلم أحد أبناء (الشيخ ماء العينين) عام 1919م إلا أن تعسف الإدارة الفرنسية وفرضها الضرائب على القبائل أدى إلى حدوث ثورة واضطرابات في المنطقة لم تنقطع إلا بعد 1934م، وبالاستيلاء على موريتانيا حققت فرنسا حلمها وهدفها التوسعي وبدأت في تجميع مستعمراتها في وحدة واحدة ليسهل عليها إدارتها واحكام قبضتها عليها.

وتعتبر عملية غلق الحدود النهائي من ناحية الجزائر والمغرب لسنة 1932م الضربة النهائية للمقاومة التي وجدت نفسها مقطوعة من كل مصادر الدعم، كما أن موت (سيد أحمد ولد أحمد) في 19 مارس 1932م حرم المقاومة من سند سياسي وقائد عسكري لا يستهان به، كما أن الظروف الصعبة التي مرت به المقاومة المسلحة الوطنية بمثابة الضربات الأخيرة بالنسبة لها، وستعرف نهايتها الحقيقية مع تسليم ابن الشيخ ماء العينين نفسه للسلطات الإسبانية في 7 أفريل 1934م، وهو يعتبر بداية حقيقية لاستقرار الإدارة الفرنسية في موريتانيا، وهكذا دخلت المقاومة الشعبية في مأزق حرج لم تستطع الافلات منه، إلا وهي تتخذ القلم بندقية والمحضرة رباطا، فتواصل كفاحها وصعودها على الجبهة الدينية والثقافية والسياسية.

ظلّ حكم فرنسا لموريتانيا يعتمد على أساس أنّها جزء من السّنغال، وكان ذلك واضحا من خلال المرسوم الجمهوري الفرنسي الصّادر عام 1904م بإلحاق موريتانيا برمّتها كمنطقة تابعة للسّنغال وذلك بعد سنة واحدة فقط على فرض الحماية الفرنسية عليها، وقد عُيّن كوبولاني حاكما لها ولُقّب بمفوّض حاكم إفريقيا الغربية الفرنسية العام لموريتانيا، ورغم أنّه صدر مرسوم 1944م يجعل موريتانيا مستعمرة فرنسية إلاّ أنّها ظلّت تابعة للسّنغال حتّى عام 1958م.

ألحقت فرنسا موريتانيا بالسّنغال من النّاحية الإدارية بعد أن قسّمت البلاد إلى 10 دوائر يوجد في كلّ دائرة مدير فرنسي يعاونه 03 أشخاص وقد خطّط الاستعمار لمحاربة الإسلام بإتباعه وسائل وأساليب عديدة منها: سياسة التّفريق بين المسلمين البيض والزّنوج ومحاربة اللّغة العربية ونشر اللّغة والثّقافة الفرنسية وإهمال التّعليم والصّحّة ومحاولة نشر المسكرات وإفقار الشّعب وإذلاله.